إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة يـوليـــو ٢٠١٦ م

زوجة الكاهن والمرونة

المرونة هي أحد صفات الشخصية الناضجة وتعرف على أنها قدرة الشخص على التكيف مع التغيير. والمعنى اللغوي لها هو قدرة الشيء على الانثناء دون أن ينكسر. وعكس الشخصية المرنة الشخصية الجامدة. وهي الشخصية التي تقاوم التغيير حتى ولو كان بسيطاً وتتمسك تمسكاً شديداً بما اعتادت عليه من أنماط، وطرق، وتوجهات، وعلاقات، وأشخاص، وأماكن.

الروح القدس ومرونة الشخصية:

صاحب الشخصية المرنة هو موضع راحة الروح القدس لأنه يكون مستعداً لقبول تشكيله له ولكل أمور حياته بكل سلاسة ويسر مثل الطين بيد الفخاري (أر١٨: ٦). أما أصحاب الشخصيات الجامدة فهم أكثر المقاومين لعمل الروح القدس فيهم. لذا يضطر الله طبيب النفوس الماهر في أحيان كثيرة أن يسلمهم إلى التجارب المختلفة ليخرجوا منها وقد تخلوا عن كل تصلب وقساوة. وقصة أيوب الصديق هي أبرز مثال على ذلك فأتون التجربة قام بدوره في صهر كل الجوامد الموجودة فيه حتى أعلن قائلاً: "أسألك فتعلمني" (أي٤٢: ٤). وعلى العكس من شخصية أيوب أظهرت شخصيات كثيرة في الكتاب المقدس درجات عالية من المرونة جعلت يد الله مطلقة للعمل فيهم وبهم. **أبرز تلك الشخصيات وأكثرها مرونة على وجه الإطلاق هي السيدة العذراء.** لقد كانت المتغيرات في حياتها متغيرات حادة وقوية وسريعة بل وغير منطقية في بعض الأحيان إلا أنها كانت بنعمة الله قادرة على التكيف مع كل تلك المتغيرات بسهولة. لقد انتقلت إلى الهيكل في سن مبكرة جداً وهناك كانت تتعامل مع أطياف مختلفة من الناس، ثم انتقلت إلى بيت يوسف الذي لم تكن تعرفه، ثم خضعت لبشارة الملاك العجيبة وقبلت بسهولة أن تكون حبلى دون أن تعرف رجلاً، ثم ارتضت أن تلد ابنها في مزود بقر ثم تتحمل مشقة الهرب إلى مصر، ثم تعود لتعيش في الناصرة، ثم تطوف مع ابنها يسوع من مكان إلى آخر مع المريمات، ثم يجوز في قلبها سيف بصلب ابنها، ثم تنتقل للعيش في بيت يوحنا الحبيب

حتى نياحتها. يا لعظم مرونة هذه القديسة العظيمة التي امتلأت حقاً من الروح القدس فصارت عجينة سهلة بين يديه!!

ومن أمثلة الشخصيات المرنة أيضاً إبراهيم أبو الآباء الذي بمجرد أن أمره الله أن يترك أرضه وأهله وعشيرته قام على الفور وخرج "وهو لا يعلم إلى أين يأتي" (عب١١:٨)، بل وعندما أمره بذبح اسحق ابن الموعد أظهر مرونة عجيبة جداً وأطاع. أيضاً تجلت المرونة بوضوح في الحوادث المختلفة لدعوة التلاميذ الذين بمجرد سماع دعوة السيد المسيح تركوا كل شيء وتبعوه فمنهم من ترك تلمذته ليوحنا المعمدان، ومنهم من ترك الشباك، ومن ترك مكان الجباية. أما بولس الرسول فكان عجيباً في مرونته وقال: "فإني قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن أستفضل. في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص" (في٤: ١١-١٢).

أسباب عدم مرونة الشخصية:

(١) الخوف من التغيير والتمسك بالقديم تحت شعار: "العتيق أطيب" (لو٥:٣٩)، فامرأة لوط تمسكت بالقديم فخسرت حياتها.

(٢) الشعور بعدم الأمان وضعف الثقة بالنفس يجعل الشخص غير واثق من قدرته على التعامل مع هو خارج عما اعتاد عليه. إنه يستمد أمانه من الدوران في دائرة الروتين.

(٣) عقدة الكمال حيث أنه من المعروف عن الشخصية الكمالية تمسكها الشديد بأنماط وقواعد ونظم معينة في كل حياتها حيث تشعر بتوتر وقلق شديدين لو اختلت تلك القواعد والنظم.

(٤) الإصرار على البقاء في منطقة الراحة وعدم الخروج منها حتى ولو كان ذلك على حساب النمو الروحي والنفسي للشخص: "من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها" (مت١٠:٣٩)

(٥) كبرياء القلب حيث أن الشخص المتكبر منتفخ الذات يثق في فهمه ويعتمد على قدراته وبالتالي لا يكون منفتحاً على خبرات وآراء الآخرين، بل ويرفض مشورة وتدبير الله في حياته. وقول الكتاب: "قبل الكسر الكبرياء" (أم١٦:١٨) يعني أن المتكبر فقد مرونته تماماً مما جعله عرضة للكسر تحت التجربة.

المتغيرات في حياة زوجة الكاهن:

إن كان الشخص العادي يحتاج للمرونة حتى يتكيف مع التغيير ولا يشعر بالضغط النفسي فإن زوجة الكاهن تحتاج لدرجة مرونة أعلى

بكثير نظراً لكون التغيرات الحادثة في حياتها كثيرة ومتنوعة سواء على مستوى الأحداث الكبيرة في حياتها، أو على مستوى ترتيبات الحياة اليومية. فقبول دعوة الكهنوت تعني بالنسبة لزوجة الكاهن تغييراً كبيراً في نمط الحياة، توزيع الأدوار، التعامل مع أطياف متعددة من الشخصيات، الانتقال للعيش في مكان جديد، الخدمة في كنيسة مختلفة، تغير في مستوى المعيشة...إلخ لكن ليست تلك هي المتغيرات الوحيدة في حياة زوجة الكاهن فهي تحتاج لمخزون يومي عالي من الطاقة النفسية لمواجهة التغييرات الطارئة في جدول وترتيبات الحياة اليومية فقد تستيقظ زوجة الكاهن في الصباح وفي ذهنها خطة معينة ليومها وتنتهي في المساء وقد اضطرت لتغيير تلك الخطة عدة مرات طوال اليوم لكي تتمكن من التناغم مع جدول زوجها الكاهن المليء بالمفاجئات!!

ولا تحتاج زوجة الكاهن أن تكون مرنة من جهة الخطط وإدارة الوقت فقط ولكنها تحتاج أيضاً للمرونة وعدم التشبث بالرأي في علاقاتها بزوجها الكاهن، وأولادها، والمخدومين...إلخ.

فضائل مرتبطة بالمرونة تحتاجها زوجة الكاهن:

(١) فضيلة البساطة حيث أن الشخصية البسيطة لا تعقد الأمور وتتفاعل مع المتغيرات بسلاسة ورضا. شخصية السيدة العذراء البسيطة جعلتها مؤهلة لأن تقبل بمرونة كل تدابير الله في حياتها.

(٢) الإيمان هو الطاقة الروحية التي تقود الشخص إلى تسليم كل أمور حياته بثقة في يد الله، فمصدر مرونة إبراهيم هو إيمانه القوي.

(٣) التواضع يجعل الشخص يقبل كل شيء بهدوء حاسباً نفسه غير مستحق لشيء.

(٤) الزهد في الأرضيات وطلب ملكوت الله يجعل كل البدائل متساوية ويجعل القلب حراً من التعلق بأي شيء.

(٥) الانقياد بالروح الذي يحول القلوب الحجرية الجامدة إلى قلوب لحمية مرنة.

أخيراً، يحلو لي أن أذكركن بعبارة رائعة من قسمة الابن تصلح أن تكون طلبتكن اليومية حتى يمنحكن الله مرونة فوق مرونة وهي: **"يا يسوع حبيبي إذا رأيتني عضواً يابساً رطبني بزيت نعمتك"**.